

الحديث عن استراتيجية كبرى

الكوماندو جون. تي. كيون، دكتوراه، البحرية الأمريكية، متقاعد

إلى أن ذلك النوع من «إعادة الترتيب» الذي حدث في أعقاب الحرب العالمية الثانية في ظل الرئيس ترومان والجنرال المتقاعد جورج سي. مارشال لم يتحقق منذ ذلك الحين. وأنا أقر بأنه عندما قال الجنرال زيني «إعادة ترتيب» فقد كان يعني «استراتيجية كبرى».² إن الآثار المترتبة على وجهة النظر هذه تثير القلق. كيف يمكن لدولة مهيمنة مثل الولايات المتحدة أن تفتقر الشرط الذي لا غنى عنه وهو امتلاك استراتيجية متماسكة للأمن القومي؟ ولكي تجري مناقشة مفيدة حول هذا الموضوع علينا أن نحدد شروطنا. أولاً، لا تدرّس الكليات العسكرية المتوسطة بصورة موحدة مفهوم الاستراتيجية الكبرى. ولا تدرّس كلية القادة والأركان العامة الاستراتيجية الكبرى للضباط الميدانيين كمستوى منفصل للحرب. كما أن الكتيب الميداني 3-0، العمليات. حول العقيدة العملياتية التوجيهية للجيش، لم يذكرها مرة واحدة. وللإنصاف، فإن بعض المعلمين في كلية القيادة والأركان العامة بالجيش يدرّسون المفهوم فعلاً - ولكن بمبادرة شخصية منهم. ومن جانب آخر، تطلع كلية الحرب البحرية الطلبة على المفهوم في وقت مبكر وكثيراً في مناهجها الدراسية.³ ربما كان كلوزيفيتس أفضل من عرّف الاستراتيجية في كتابه حول الحرب: «على المستوى الاستراتيجي، خلّ الحملة محل

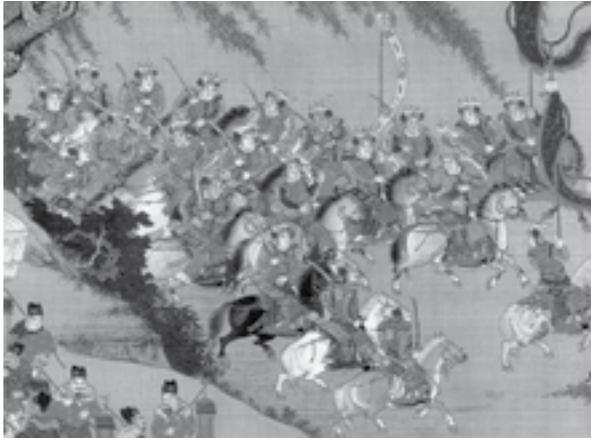
على المستوى الاستراتيجي خلّ الحملة محل الاشتباك. ويحل مسرح العمليات محل الموقع. وفي المرحلة التالية، خلّ الحرب ككل محل الحملة، وخلّ البلاد بأسرها محل مسرح العمليات.

-كارل فون كلوزيفيتس

تردد في الآونة الأخيرة قدر كبير من التعليقات الافتتاحية، بل والعظمت، حول موضوع الاستراتيجية الكبرى للولايات المتحدة. وظهر إجماع على أن الولايات المتحدة ليس لديها استراتيجية كبرى. وعند الطرف النهائي من هذه الطائفة من الآراء، طلع علينا أندرو باسيفيتش من جامعة بوسطن ليدعى، "أنه لا يوجد قيصر للاستراتيجية. ولا يزال هذا الملف البالغ الأهمية بدون تخصيص". وعلى الطرف الآخر من الطيف يكتب الكاتب الواسع الانتشار رالف بيترز يقول، "تمهل لتفكر في مدى البراعة التي أصبح عليها كل ما يمرر للتحليل في واشنطن". وكلا الرجلين يشيران إلى الاستراتيجية الأمريكية - أو عدم وجودها - في أفغانستان.¹ وفي آب/أغسطس 2009، وفي اليوم الافتتاحي للفصل الدراسي الجديد في كلية القيادة والأركان العامة بالجيش، أشار جنرال فيلق مشاة البحرية المتقاعد أنطوني زيني ضمناً

الليسانس من جامعة ميامي في أوهايو، وماجستير من كلية الدراسات العسكرية المتقدمة بالجيش الأمريكي. ودرجة الدكتوراه من جامعة ولاية كانزاس. خدم كضابط جوي في البحرية الأمريكية من 1981 إلى 2004.

الكوماندو جون تي. كيون، دكتوراه، البحرية الأمريكية، متقاعد. أستاذ مشارك في التاريخ العسكري بكلية القيادة والأركان العامة للجيش الأمريكي وواضع المنهج الدراسي لقسم التاريخ العسكري بكلية القيادة والأركان العامة للجيش الأمريكي. نال درجة



الفرن: الصين. عصر سلالة مينغ (1368-1644) حرس الفرسان الإمبراطوري

دائماً بإمكانيات القوة الكامنة التي بشر بها نظام الحكم الذي أقاموه. لقد كانوا رجالاً آمنوا بأن الأفكار مهمة وأن نظاماً جذاباً للحكم الديمقراطي والجمهوري يمكن أن يولد سلطة فريدة من تلقاء نفسه عندما يُربط بالموارد الغنية لأمريكا الشمالية. إن أهداف وجود استراتيجية أمريكية كبرى فريدة في نوعها ليست موضوع لعبة تخمين ولم تكن كذلك على الإطلاق. إن المقدمة التمهيدية للدستور تحدد هذه الأهداف بكل وضوح: "إقامة العدالة، وضمان الاستقرار الداخلي، وتوفير سبل الدفاع المشترك، وتعزيز الخير العام، وتأمين نعم الحرية لنا ولأجيالنا القادمة".⁸ لقد حلى الذين سطرنا المقدمة التمهيدية للدستور ببعد نظر طويل في القول بأن هذه الأهداف هي «لأجيالهم المقبلة» - نحن. إضافة إلى ذلك، يشير نص الدستور ضمناً إلى وسائل تحقيق هذه الأهداف النبيلة. وقد تكون الوسيلة الثقافية هي الدستور بكامله، باعتباره نموذجاً مثالياً للضوابط والتوازنات التي تستعين «بالتالوث المقدس» وهو الأجهزة التنفيذية، والتشريعية، والقضائية في التنافس وموازنة بعضها البعض. إن طائفة واسعة من الأنظمة السياسية الحاكمة في كافة أرجاء العالم الحديث هي انعكاس لهذا النظام، وكانت الرسالة، التي كانت محل شك وقت صياغتها، هي «أن نظامنا يعمل بنجاح، جرّبه».

الاشتباك، وبحل مسرح العمليات محل الموقع. وفي المرحلة التالية، خلّ الحرب ككل محل الحملة، والبلاد بأسرها محل مسرح العمليات». بمعنى آخر، فإن الاستراتيجية الكبرى هي «المرحلة التالية»، التي تشمل الاعتبارات الاستراتيجية «للبلاد بأسرها».⁴

إن النهج المتفاوت الذي أعطي للاستراتيجية الكبرى في التعليم العسكري المهني هو مجرد عرض لمشكلة أمريكية أكبر على هذا المستوى من الحرب. غير أنها ليست المشكلة الوحيدة. فثمة سوابق تاريخية لوضع افتقرت فيه قوة مهيمنة أو امبريالية لاستراتيجية كبرى متماسكة تتجاوز مجرد «البقاء على القمة». فمثلاً، لا يزال العلماء الكلاسيكيون يتجادلون حول ما إذا كان لدى روما والصين القديمة حقيقة استراتيجيات كبرى فهمتها النخبة الحاكمة على هذا النحو.⁵ لقد صدر في الآونة الأخيرة عدد مدهش من الكتب في الولايات المتحدة حول موضوع الاستراتيجية الكبرى، ولكن المرء يعتقد أن عدد قرائنها محدود.⁶ هناك كذلك قضية الثقافة الاستراتيجية، وهو أحياناً تعبير شنيع ينطوي على كثير من التعريفات. وأنا أعرف الثقافة الاستراتيجية على أنها مجموعة من الاتجاهات الاستراتيجية المسبقة، ولا تتساوى مثل هذه الاتجاهات بالضرورة مع استراتيجية كبرى متماسكة.⁷ لقد كان للولايات المتحدة ثقافة استراتيجية، ولكن لم يكن لديها استراتيجية كبرى، بالنسبة للحكومة الراهنة والحكومات الأمريكية الثلاث السابقة على الأقل، وربما أكثر. إذا صح ما ذهب إليه نقاد مثل أندرو باسيفيتش.

إن المكان الجيد الذي يمكن البدء بالبحث فيه عن استراتيجية كبرى متماسكة، هو دستور الولايات المتحدة، الذي يمكن أن نستقرئ منه استراتيجية كبرى متماسكة. فرغم أن الذين صاغوا هذه الوثيقة لم يتمكنوا من التنبؤ بعناصر القوة الوطنية التي بدأت تمارسها الولايات المتحدة في القرن العشرين، فلربما آمنوا

عرض ضابط جيش برازيلي يحضر كلية القيادة والأركان العامة للجيش إجازاً حول بلاده تحت عنوان "اعرف عالمك" أمام الطلبة، وعائلاتهم، والسكان المحليين المهتمين من منطقة ليفينويرث. وفي معرض مناقشته السياسية عقد مقارنة مع النموذج الأمريكي: ثلاثة أجهزة للحكومة، مجلس تشريعي من مجلسين، وسيطرة مدنية على القوات المسلحة، بل وعاصمة أنشئت من البرية ومُنحت وضعها السياسي كإقليم منفصل.⁹ كانت الوسيلة لتصبح استثنائياً أن تتبنى النموذج السياسي الأمريكي. وهذا مثال على القوة الثقافية، أحد عناصر الاستراتيجية الكبرى. ومع ذلك، فإنه لا يمكن فصل هذا النموذج عن سياقه التاريخي والجغرافي. وهذا السياق يؤدي إلى عناصر أخرى

في الاستراتيجية الكبرى للدستور - لم تعد تفهم فهماً جيداً - وتفسر لماذا لا تملك الولايات المتحدة الآن استراتيجية كبرى. إن الأمريكيين ببساطة لا يفهمون الجغرافيا والتاريخ، ونظامهم التعليمي يعبر عن ذلك.¹⁰ ولم تكن هذه هي الحالة دائماً. فالمؤسسون فهموا القوة الدفاعية الطبيعية التي بشر بها وضعهم الجغرافي. وتبعاً لذلك، أصدروا تفويضاً بتأسيس وصيانة سلاح بحرية للاستفادة من حقيقة أن المحيطين الأطلسي والهادئ وفرا حماية «لقدسهما الجديدة». كانت قضية الدفاع عن الوطن ببساطة مسألة جغرافيا ولها حدود (من خلال القلاع الساحلية أو الأسطول) تكفي كوثيقة تأمين. وكما قال جورج واشنطن عبارته الشهيرة، «بدون



دار الفوتوغرافات العسكرية الألمانية، 183-28645-001

حدد مؤتمر بوتسدام التاريخي، 17 تموز/ يوليو - 2 آب/ أغسطس 1945، المبادئ الأساسية لإقامة عملية انتقالية سلمية، وديمقراطية في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية. هنا، يتحدث جوزيف ستالين، وهاري ترومان، وونستون تشرشل بصورة غير رسمية أثناء استراحة.

إلى استراتيجيتها الكبرى الأصلية، ولكن اندلاع حرب أكثر دماراً وخطورة عام 1939 قضت على هذه المحاولة. فقد شكلت الأيديولوجيات الفاشستية، والعسكرية، والاستبدادية المتنافسة تهديداً ثقافياً للإستراتيجية

كان للولايات المتحدة ثقافة استراتيجية، ولكن لم يكن لديها استراتيجية كبرى، بالنسبة للحكومة الراهنة والحكومات الأمريكية الثلاث السابقة على الأقل، وربما أكثر...

الأمريكية وخطراً مادياً للسواحل الشرقية للهندق المائي الذي شكله المحيط الأطلسي والهادئ، في غضون ذلك، هاجم اليابانيون مكّون الباب المفتوح والهندق المائي للمحيط الهادئ عام 1941. ومتى انخرطت الولايات المتحدة في الحرب العامة التي استعرت عبر الكرة الأرضية، باتت القيادة السياسيون الأمريكيون متسلحين الآن بقوة الرأي العام وراهم (دون أن يلجمهم كساد عظيم) ليستبدلوا الاستراتيجية الكبرى القديمة باستراتيجية ذات نزعة دولية أكبر. ومع ذلك، كان يمكن للولايات المتحدة أن تعود إلى المبادئ الأساسية لاستراتيجيتها الكبرى بعد الحرب العالمية الثانية لولا الأخطار الأيديولوجية، والثقافية، والأمنية القومية، والاقتصادية التي شكلها الاتحاد السوفيتي وانتشار الشيوعية بعد انهيار النزعة الاستعمارية الأوروبية عبر الكرة الأرضية. لقد حلت استراتيجية كبرى تركز على خطر محدد خارج نصف الكرة الغربي، وفي داخل سياق توازن القوة النووية، محل الاستراتيجية الكبرى التي مورست من قبل وكانت أكثر عمومية، إن الأهداف، المحددة في المقدمة التمهيدية للدستور، لم تتغير. ولكن الوسائل (القوة

قوة بحرية حاسمة، لا نستطيع أن نفعل شيئاً قاطعاً، ومع وجودها، نستطيع أن نفعل كل ما هو مشرف ومجيد»¹¹.

أما على الأرض، فكانت القصة مختلفة. هنا جاء السياق التاريخي من التراث البريطاني لأمريكا مثلما جاء من فلسفة عصر النهضة. إن تجربة البريطانيين مع الحكم شبه الدكتاتوري لأوليفر كرومويل وفيما بعد مع الثورة المجيدة التي خلعت الملك جيمس الثاني، جعلتهم وأبناء عمومتهم الاستعماريين يسيئون الظن العميق بالرجال العسكريين الأقوياء والجيوش الدائمة. كذلك، خلقت التجربة الفرنسية والحروب الهندية والثورة الأمريكية أسطورة حول فعالية الميليشيا، لذلك، حافظ الدستور في التعديل الثاني على مفهوم الجندي المواطن، بينما حد في الوقت ذاته من القدرة على إنشاء جيش دائم في المادة الأولى، القسم الثامن، الفقرة 12 من نفس الوثيقة. كما احتوى نفس القسم على البند المتعلق بتكوين قوة بحرية فضلاً عن الحرب التجارية في البحر في الفقرة 11.¹² وبمرور الوقت، باتت الاستراتيجية الكبرى تشمل عدم التدخل العسكري خارج نصف الكرة الغربي، وحرية وصول التجارة إلى أي أسواق يرغب الأمريكيون فيها، وحق التصرف كالدولة المهيمنة على نصف الكرة الغربي، ويُعرف هذان المكونان الأخيران على التوالي بعقيدة مونرو وسياسة الباب المفتوح.¹³ لقد أكمل وجود كتلة يابسة متجاورة من بحر إلى بحر ساطع الشرط الجغرافي الدفاعي الذي احتاجته هذه الاستراتيجية مع نوع من المنطقة العازلة في الجنوب الغربي على طول ريو غراندي. كانت هذه هي الاستراتيجية الأمريكية الكبرى، المبنية على الدستور، لحولي 150 عاماً - رغم أن المكون الأرضي الجغرافي جاء بعد الحرب مع المكسيك.

تغيرت الاستراتيجية نتيجة تفسخ الحضارة الغربية التي قادها الأوروبيون خلال النصف الأول من القرن العشرين. وبعد عام 1919 بذلت الولايات المتحدة محاولة للعودة



جنرال الجيش الأمريكي ديفيد إيتش بتريوس، قائد قوة المساعدة الأمنية الدولية، يتباحث مع المقدم ديفيد أوكلاندر، قائد الفرقة 82 المحمولة جواً، اللواء الأول، الفوج 504 مشاة مظليين، 9 تموز/ يوليو 2010، قندهار بأفغانستان.

- فطول هذه الكلمات مناسب تماماً. وأعترف بأن تبني استراتيجية جديدة لا يستلزم عملاً كبيراً. علينا فقط بإعادة تكييف الاستراتيجية القديمة، وتحديثها تكنولوجيا بطبيعة الحال، وتضمينها مؤسسة عسكرية قوية

كان ينبغي أن تكون نهاية الحرب الباردة مناسبة لمراجعة الاستراتيجية الكبرى.

ولكنها أصغر تكون قادرة على حماية "خنادقنا" الجوية، والبحرية، والفضائية. إن الحرب التي استمرت من 1914 إلى 1989 وضعت أوزارها. والاستراتيجية الكبرى التي خدمت الولايات المتحدة جيداً قبل الحرب العالمية الثانية تمثل إطار عمل جيد للقرن الحادي والعشرين.

الاقتصادية، والقوة النووية، والقوة الجوية) تغيرت. وكذلك تغيرت الطرق - الاحتواء والردع.¹⁴ كان من المفروض أن تمثل نهاية الحرب الباردة مناسبة لمراجعة الاستراتيجية الكبرى. فأمركيو العصر الحديث يميلون إلى التميز في تحقيق الأهداف القصيرة الأجل، ولكنهم ليسوا كذلك من حيث العقلية وتحقيق الأهداف على المدى المتوسط والطويل. أبلغ دليل واضح على ذلك فشلهم في مراجعة الاستراتيجية الكبرى في أعقاب الحرب الباردة. لقد حان الوقت لمراجعة استراتيجيتنا الكبرى، عاجلاً وليس آجلاً.

ويبدو أن المشكلة تكمن في أن تحديات الحاضر تمنعنا من التحرك قدماً لمحاذاة الاستراتيجية الكبرى للولايات المتحدة مع الواقع والاتجاهات العالمية. الشيء الجميل بشأن الاستراتيجية الكبرى هو أنها ليست في حاجة إلى أن تكون أطول من المقدمة التمهيدية للدستور

على الرصيف. هي الخطوة الضرورية نحو نمو صحي. إن الولايات المتحدة تملك من القوة الوطنية أكثر مما يكفي للمشاركة إذا سقطت الدراجة، ولكن عليها أن تتحكم في نزعتها إلى نفاذ الصبر الاستراتيجي (وهي سمة لثقافتنا الاستراتيجية). نحن في حاجة إلى ممارسة الصبر الاستراتيجي. نحن في حاجة إلى أن نتعلم أن نقول "لا". وإن فعلنا ذلك، ربما نكتشف أننا نملك بالفعل خيارات استراتيجية أكثر - وضرورات استراتيجية أقل - من ذي قبل على الإطلاق. ميليتاري ريفيو

إن البيئة العملية اليوم في الواقع مباشرة لتنفيذ الاستراتيجية التقليدية أكثر مما يبدو لأول وهلة. فالناخبين الأمريكيين لا يحبذون النزعة التدخلية. إننا نحتاج فقط إلى أن نجرد أنفسنا من الالتزامات التي قطعناها خطأ (العراق). بعجالة دون تفكير يُذكر في العواقب النهائية (أفغانستان والعراق). وتلك التي تجاوزت منفعتها (كوريا، واليابان، والقوات في أوروبا، وبحريتنا في الخليج العربي). إن تخفيضاً استراتيجياً لنفقات من هذا النوع، التي ننزع فيها عجلات التدريب من الدراجة ونقف

ملاحظات هامشية

1. أندرو جيه. باسيفيتش. "النقطة العمياء في استراتيجية أوباما". لوس أنجلوس تايمز. 6 تموز/ يوليو 2009؛ رالف بيترز. «حصر أنفسنا في أفغانستان». فصلية القوة المشتركة رقم 54 (الربع الثالث 2009): 6.
2. تصريحات الجنرال زيني في 11 آب/ أغسطس 2009 أمام خريجي كلية القيادة والأركان العامة بالجيش لعام 2010 منسوبة إليه.
3. الكتيب الميداني 0-3، العمليات (واشنطن دي سي: مكتب مطبعة الحكومة الأمريكية) هنا وهناك. الاستراتيجية الكبرى ليست مسجلة في الفهرس أو منشروحة في الفصل 6. يدرس المؤلف حالياً التاريخ العسكري في دورة دراسية بكلية القيادة والأركان العامة بالجيش ودرّس في السابق في إدارة العمليات المشتركة، والحكومية، والمتعددة الجنسيات حيث عُرّضت استراتيجية الأمن القومي والاستراتيجية العسكرية الوطنية أمام الطلبة لأول مرة، للاطلاع على المنهج الدراسي لكلية الحرب البحرية أنظر: <http://www.nwc.navy.mil/academics/courses/sp/overview.aspx>, (10 تموز/ يوليو 2009).
4. كارل فون كلوزوفيتش. حول الحرب. ترجمة بيتر باريت ومايكل هوارد (برينستون، نيو جيرزي: مطبعة جامعة برينستون، 1986). 358.
5. إدوارد لوتوك. الاستراتيجية الكبرى للإمبراطورية الرومانية من القرن الأول الميلادي إلى القرن الثالث (بولنيهور، ميريلاند: مطبعة جامعة جونز هوبكنز، 1976). هنا وهناك؛ للاطلاع على تفنيد. أنظر كيمبرلي كاغان. «تنقية الاستراتيجية الرومانية الكبرى». جورنال التاريخ العسكري 70، رقم 2 (نيسان/ إبريل 2006): 333. بالنسبة للصين. أنظر آرثر والدون. سور الصين العظيم: من التاريخ إلى الأسطورة (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 1990). هنا وهناك.
6. مثلاً، بروس بيركوفيتش. التفوق الاستراتيجي (واشنطن دي سي: مطبعة جامعة جورج تاون، 2008).
7. يوجد الكثير من الكتب المفيدة. وبعض الكتب غير المفيدة حول الثقافة الاستراتيجية. ولكتاب ينطوي على مناقشة كاملة مستعيناً بسلسلة مينغ

الإمبراطورية في الصين كمثال. أنظر ألاسدير لين جونستون. الواقعية الثقافية: الثقافة الاستراتيجية والاستراتيجية الكبرى في التاريخ الصيني (برينستون، نيو جيرزي: مطبعة جامعة برينستون، 1998). ولناقشة نموذجية لثقافة استراتيجية مؤسسية. أنظر روجر ديليو، بارنيت. الثقافة الاستراتيجية البحرية: لماذا تفكر البحرية على نحو مختلف (أنابوليس، ميريلاند: مطبعة المعهد البحري، 2009).
8. أنظر: www.constitutionfacts.com/index.cfm?section=constitution&p=age=readTheConstitution.cfm. (10 تموز/ يوليو 2009).
9. "اعرف برازيلك العالمية". كلية القيادة والأركان العامة، 24 حزيران/ يونيو 2009.
10. يمكن العثور على نقد لاذع للنزعة التاريخية الأمريكية في وليامسون موراي. "مقدمة: البحث عن السلام". في صنع السلام: الحكام، والدول، وفترة ما بعد الحرب. وليامسون موراي وجيم لاسي (نيويورك: مطبعة جامعة كامبريدج، 2009). 23.
11. أنظر (10). www.history.navy.mil/trivia/trivia02.htm تموز/ يوليو 2009).
12. أنظر www.constitutionfacts.com/index.cfm?section=constitution&page=readTheConstitution.cfm (10 تموز/ يوليو 2009).
13. للاطلاع على مناقشة مؤرخة ولكنها جذابة للباب المفتوح في القرن العشرين. أنظر توماس برايسون. "الأدميرال مارك إل. بريستول، دبلوماسي الباب المفتوح في تركيا". الجورنال الدولي لدراسات الشرق الأوسط 5 (أيلول/ سبتمبر 1974)، 450-467. لم يكن الباب المفتوح خرافة. فهو كجزء من استراتيجية وسياسة وطنية. يمكن العثور عليه في دار المحفوظات الوطنية وإدارة التسجيلات مجموعة التسجيلات 80 المجلس العام 2-420، رئيس العمليات البحرية "مسودة مؤقتة لمذكرة حول سياسة البحرية الأمريكية". 4 آذار/ مارس 1922، 1.
14. جون لويس غاديس. "الاحتواء: ماضيه ومستقبله". الأمن الدولي 5 (ربيع 1981): 74-102.

Talking Grand Strategy

Commander John T. Kuehn, Ph.D., U.S. Navy, Retired

Originally published in the English September-October 2011 Edition.